

آراء العلماء العرب القدامى والمحدثين في الاشتقاد والحديث عن موضوع الاشتقاد يقودنا إلى ذكر الخلاف بين العلماء حول-1 طبيعة اللغة هل لها قياس؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟ اجمع أهل اللغة- إلا مَنْ شَدَّ عَنْهُمْ- إن اللغة العربية قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، فإن الجن مشتق من الاجتنان، وإن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر. تقول العرب للدرع: جنة الليل وهذا جنين أي هو في بطن أمه أو مقبور. وإن الإنس من الظهور ويقولون: انسـت الشـيءـ: ابصـرـتهـ وعلـىـ هـذـاـ سـائـرـ كـلامـ العربـ: عـلـمـ ذـلـكـ مـنـ عـلـمـ وجـهـلـهـ مـنـ جـهـلـ قـلـنـاـ وـهـذـاـ ايـضاـ مـبـنيـ عـلـىـ ماـ تـقـدـمـ مـنـ قولـنـاـ فـيـ التـوـقـيفـ فـانـ الذـيـ وـقـفـنـاـ عـلـىـ إـنـ الـاجـتـنـانـ الـسـتـرـ هوـ الذـيـ وـقـفـنـاـ عـلـىـ إـنـ الجـنـ مشـتـقـ مـنـهـ. وـلـيـسـ لـنـاـ الـيـوـمـ أـنـ نـخـتـرـعـ وـلـاـ أـنـ نـقـولـ غـيرـ مـاـ قـالـوـهـ، مـبـاحـثـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـفـيـ هـذـاـ القـوـلـ غـلوـ وـإـسـرـافـ لـالـعـرـبـ عـلـوـ عـلـىـ مـاـ فـيـهـ فـسـادـ الـاعـتـقـادـ باـشـتـقادـ الـمـعـنـيـ مـنـ الـجـنـ وـلـيـسـ العـكـسـ(ـ)ـ يـنـظـرـ الـمـبـاحـثـ الـلـغـوـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ، فـيـرـوـنـ آـنـ لـاقـيـاسـ عـلـىـ كـلـامـ الـعـرـبـ فـيـ الاـشـتـقادـ وـكـلـ كـلـامـ الـعـرـبـ توـقـيفـ مـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـقـعـ بـعـضـ الـلـغـوـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـوـهـمـ، عـنـدـمـاـ حـاـوـلـواـ تـعـلـيـلـ بـعـضـ الـأـسـمـاءـ الـعـرـبـيـةـ، فـقـدـ سـُـلـّـيـ اـبـوـ عـمـروـ بـنـ الـعـلـاءـ عـلـىـ اـشـتـقادـ الـخـيـلـ فـلـمـ يـعـرـفـ فـمـرـ اـعـرـابـيـ مـُـحـرـمـ، فـسـالـوـاـ أـبـاـ عـمـروـ عـنـ ذـلـكـ فـقـالـ: ذـهـبـ إـلـىـ الـخـيـلـ الـتـيـ فـيـ الـخـيـلـ وـالـعـجـبـ، وـبـنـاءـ عـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ فـانـ أـبـاـ عـمـروـ بـنـ الـعـلـاءـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ وـاسـعـ عـلـمـهـ وـمـعـرـفـتـهـ وـمـكـانـتـهـ الـرـفـيـعـةـ، وـقـدـ ظـنـ بـانـ الـخـيـلـ مشـتـقـ مـنـ الـخـيـلـ، وـلـاشـكـ أـنـ اـبـنـ السـرـاجـ يـقـصـدـ بـهـذـهـ الـعـبـارـةـ اـبـنـ دـرـيدـ وـأـمـثـالـهـ مـمـنـ ظـنـواـ إـنـ الدـافـعـ عـنـ عـرـوـبـةـ الـلـغـةـ يـقـضـيـ القـوـلـ باـشـتـقادـ الـأـعـجمـيـ يـكـادـونـ يـجـمـعـونـ عـلـىـ وـقـوـعـ الـاشـتـقادـ الـأـصـغـرـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ وـكـثـرـتـهـ فـيـهـ وـتـوـلـيـدـهـ قـسـماـ كـبـيرـاـ مـنـ مـتـنـهـ حـتـىـ "ـاـفـرـ الـاشـتـقادـ بـالـتـأـلـيـفـ"ـ جـمـاعـةـ مـنـ الـمـتـقـدـمـينـ مـنـهـمـ الـأـصـمـعـيـ، تـلـفـيـ طـائـفـةـ قـلـيـلـةـ مـنـ الـبـاحـثـيـنـ الـقـادـمـيـ يـنـكـرـونـ وـقـوـعـ الـاشـتـقادـ بـاـنـوـاعـهـ كـافـةـ زـاعـمـيـنـ إـنـ الـكـلـمـ كـلـهـ اـصـلـ"ـ وـلـايـقـلـ عـنـ هـذـاـ الزـعـمـ غـلوـاـ وـاغـرـابـاـ فـيـ قـوـلـ طـائـفـةـ مـنـ الـمـتـأـخـرـيـنـ الـلـغـوـيـنـ "ـكـلـ الـكـلـمـ مشـتـقـ"ـ أـمـاـ الـرـايـ الـعـلـمـيـ الـجـدـيرـ بـأـنـ تـنـتـصـرـ لـهـ فـهـوـ مـاـ ذـهـبـ إـلـىـ الـمـؤـلـفـوـنـ فـيـ الـاشـتـقادـ مـنـ أـنـ "ـبـعـضـ الـكـلـمـ مشـتـقـ، وـبـمـاـ أـنـ الـلـغـةـ فـيـ تـطـورـ وـالـحـاجـةـ إـلـىـ مـفـرـدـاتـهـ فـيـ اـزـيـادـ، فـقـدـ تـدـعـوـ الـحـاجـةـ إـلـىـ اـشـتـقادـ مـعـيـنـ لـمـ يـكـنـ مـوـجـودـاـ، وـعـلـيـهـ تـكـوـنـ قـاـدـعـةـ الـقـيـاسـ فـيـ الـاشـتـقادـ مـسـتـمـرـةـ جـيـلاـ بـعـدـ جـيـلـ. أـيـ يـدـلـ عـلـىـ الـحـدـثـ فـقـطـ، فـاـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ الـحـدـثـ وـالـزـمـنـ. أـمـاـ الـكـوـفـيـوـنـ فـيـعـدـوـنـ الـفـعـلـ أـصـلـاـ لـلـمـشـتـقـاتـ، وـيـزـيـدـ عـلـيـهـ أـنـ الـعـرـبـ اـشـتـقـتـ مـنـ أـسـمـاءـ الـاعـيـانـ، إـلـىـ جـانـبـ اـشـتـقادـهـ مـنـ الـمـصـادـرـ وـيـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ بـقـولـهـ "ـوـلـاشـكـ أـنـ كـلـ اـسـمـ مـنـ اـسـمـ الـاعـيـانـ، يـنـظـرـ مـبـاحـثـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ: 86ـ. وـيـوـضـعـ اـبـنـ السـرـاجـ صـورـ هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ، فـيـقـولـ "ـفـمـنـهـ يـقـوـلـ: الـاشـتـقادـ فـيـ الـلـغـةـ الـبـتـةـ وـهـمـ الـاـقلـ، لـقـدـ اـقـرـ اـبـنـ جـنـيـ بـاـنـ الـاشـتـقادـ الـاـكـبـرـ صـعـبـ الـتـبـيـقـ، عـلـىـ جـمـيعـ نـصـوصـ الـلـغـةـ فـيـقـولـ: "ـوـاعـلـمـ اـنـ لـاـنـدـعـيـ أـنـ هـذـاـ مـسـتـمـرـ فـيـ جـمـيعـ الـلـغـةـ، فـصـولـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ: 297ـ، وـقـدـ وـقـفـ الـلـغـوـيـوـنـ وـالـبـاحـثـوـنـ مـنـ مـذـهـبـ اـبـنـ جـنـيـ فـيـ ثـلـاثـةـ مـوـاـفـقـ مـخـلـفـةـ. فـهـذـاـ حـمـزةـ بـنـ الـحـسـنـ الـاـصـبـهـاـيـ يـقـوـلـ فـيـ كـتـابـهـ (ـالـمـواـزـنـةـ)ـ: مـبـاحـثـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ: 89ـ، كـذـاـ قـالـ وـزـعـمـ أـنـ الـقـرـنـانـ اـنـمـاـ سـمـيـ قـرـنـانـاـ لـهـ مـطـيقـ لـفـجـورـ اـمـرـاتـهـ كـالـثـورـ الـقـرـنـانـ أـيـ الـمـطـيقـ لـعـلـمـ قـرـونـهـ، وـقـدـ حـمـلتـ هـذـهـ الـمـبـالـغـاتـ الـسـيـوـطـيـ عـلـىـ أـنـ يـقـولـ عـنـ هـذـاـ الـاشـتـقادـ "ـأـنـ لـيـسـ مـعـقـداـ فـيـ الـلـغـةـ، وـلـاـيـصـحـ أـنـ يـسـتـبـطـ بـهـ اـشـتـقادـ لـغـةـ الـعـرـبـ"ـ(ـ)ـ فـصـولـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ: 298ـ، وـإـنـهـ اـبـنـ جـنـيـ بـأـنـهـ أـرـادـ مـنـ خـلـالـ توـسـعـهـ فـيـ هـذـاـ الـاشـتـقادـ أـنـ يـبـيـنـ قـوـةـ سـاعـدـهـ وـرـدـهـ الـمـخـلـفـاتـ إـلـىـ قـدـرـ مـشـتـركـ، وـلـمـ يـنـكـرـ السـيـوـطـيـ وـقـوـعـ مـعـنـيـ مـشـتـركـ بـيـنـ هـذـاـ التـقـالـيـبـ (ـلـكـ التـحـلـيلـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ جـمـيعـ التـرـتـيبـاتـ تـطـلـعـ لـعـنـقـاءـ مـغـرـبـ)ـ(ـ)ـ (ـالـمـزـهـرـ، لـكـنـ الـاـرـتـيـاطـ الـذـيـ اـهـنـدـىـ إـلـيـهـ اـبـنـ جـنـيـ لـيـسـ عـاـماـ وـحـسـبـ بـلـ هوـ شـدـيـدـ الـعـمـومـ وـبـلـفـتـ شـدـتـ عـدـتـ عـوـمـهـ حـدـ الـأـيـاهـ وـالـغـمـوـضـ)ـ(ـ)ـ (ـفـقـهـ الـلـغـةـ: 83ـ، وـقـدـ قـالـ الـدـكـتـورـ اـبـراهـيمـ لـيـسـ عـاـماـ وـحـسـبـ بـلـ هوـ شـدـيـدـ الـعـمـومـ وـبـلـفـتـ شـدـتـ عـدـتـ عـوـمـهـ حـدـ الـأـيـاهـ وـالـغـمـوـضـ)ـ(ـ)ـ (ـفـقـهـ الـلـغـةـ: 83ـ، وـقـدـ قـالـ الـدـكـتـورـ اـبـراهـيمـ اـنـيـسـ:ـ وـاـذاـ كـانـ اـبـنـ جـنـيـ قـدـ اـسـتـطـاعـ فـيـ عـنـتـ وـمـشـقـةـ أـنـ يـسـوـقـ لـنـاـ، لـبـرـهـنـةـ عـلـىـ مـاـ يـزـعـمـ بـصـنـعـ موـادـ مـنـ كـلـ موـادـ الـلـغـةـ، الـتـيـ يـقـالـ انـهـ فـيـ جـمـهـرـ الـلـغـةـ لـاـبـنـ دـرـيدـ تـصـلـ إـلـىـ اـرـبعـينـ الـفـ وـفـيـ مـعـجمـ لـسانـ الـعـرـبـ تـكـادـ إـلـىـ ثـمـانـيـنـ الـفـاـ فـلـيـسـ يـكـيـفـ مـثـلـ هـذـاـ الـقـدـرـ الـضـئـيلـ الـمـتـكـلـفـ، لـاثـيـاتـ مـاـ يـسـمـيـ باـشـتـقادـ الـاـكـبـرـ)ـ(ـ)ـ فـصـولـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ: 298ـ. وـعـدـ اـبـنـ جـنـيـ ذـلـكـ مـقـبـلاـ وـمـعـتـدـلاـ، يـحـمـلـ مـعـنـيـ هـذـاـ الـمـادـ بـشـكـ عـامـ، اـذـاـ قـبـسـ إـلـىـ مـذـاهـبـ بـعـضـ الـمـحـدـثـيـنـ مـنـ فـكـرـ ثـنـائـيـةـ الـأـصـولـ، وـمـعـنـاـهـ الـعـامـ يـرـتـبـطـ بـأـصـلـيـنـ اـثـيـنـ مـنـ أـصـولـهـاـ وـمـنـ روـادـ هـذـاـ الـثـنـائـيـةـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيثـ الـأـبـ اـنـسـنـاسـ مـارـيـ الـكـرـمـلـيـ، وـقـوـلـ بـهـاـ بـالـتـفـضـيلـ فـيـ الـمـجـامـعـ وـالـأـنـديـةـ، وـفـلـ فـيـهـ كـتـابـاـ عـنـوـانـهـ (ـنـشـوـءـ الـلـغـةـ وـنـمـوـهاـ وـاـكـتـمـالـهـ)ـ وـقـالـ فـيـ اوـلـهـ: ((ـعـرـفـ بـعـضـ حـدـافـ اـبـنـاءـ يـعـربـ الـأـقـدـمـيـنـ، فـاـنـهـ بـنـيـ مـعـجمـهـ الـجـلـيلـ عـلـىـ اـعـتـيـارـ الـمـضـافـ هـجـاءـ وـاـحـدـاـ، فـهـوـ عـنـهـ مـنـ وـضـعـ الـخـيـالـ، وـلـاـ يـلـفـتـ اـبـداـ إـلـىـ اـنـهـ مـنـ ثـلـاثـةـ اـحـرـفـ، أـيـ: (ـمـدـ)ـ كـمـاـ يـفـعـلـ سـائـرـ الـلـغـوـيـوـنـ وـلـهـذـاـ السـبـبـ عـيـنـهـ يـذـكـرـ: (ـمـدـ)ـ قـبـلـ (ـمـدـ)ـ، عـلـىـ مـاـ نـشـاهـدـهـ فـيـ مـعـاجـمـ الـلـغـةـ، فـأـدـعـيـ أـنـ اـصـولـ هـيـ (ـإـذـنـ)ـ الـعـرـبـيـةـ، فـيـعـدـ هـذـاـ إـسـرـافـاـ فـيـ رـدـ (ـtـhـeـnـ)ـ هـيـ بـاعـ وـكـلـمـةـ (ـbـu~yـ)ـ الـلـغـاتـ الـأـجـنـبـيـةـ تـوـجـدـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ فـمـثـلـاـ فـيـ الـأـنـجـلـيـزـيـةـ كـلـمـةـ الـلـغـاتـ الـأـجـنـبـيـةـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ. وـلـمـ تـكـنـ حـمـاسـةـ الـأـبـ مـرـمـجـيـ الـدـوـمـنـكـيـ، فـيـ دـفـاعـهـ عـنـ الـمـذـهـبـ فـيـ كـتـابـهـ (ـالـمـعـجمـيـةـ الـعـرـبـيـةـ)ـ فـيـ

ضوء الثنائية الالستية السامية) الذي يقول فيه:- "وكم حرف زيد على الأصل الثنائي، ويجري على قانون التطور اللغوي، مع بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي والثلاثي كما هي مستمرة بين الثلاثي والرابعى، وما فوقه من المزيدات" [٤] فصول في فقه اللغة العربية: 300، ) ولقد أدرك لغويو العرب إمكان وقوع الإبدال مثلاً تصورو إمكان وقوع القلب وانطلقوا يؤكدون أن "من سنن العرب إبدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض، وقد ربط القدماء بين الصورتين إذا بدا لهم أنهما اشتراكاً في معنى متقارب مع أنَّ كثيراً من هذا التقارب لا يزيد عن الترافد تارة، والاشتراك تارة أخرى ومن العجيب أنَّ ابن السكيت مثلاً في ((القلب والإبدال)) لم يذكر في الثلاث مئة كلمة التي اشتغلت عليها رسالته إلا القليل مما يمكن أن يفسر بظاهره الإبدال تفسيراً صريحاً. أما المحدثون فلهم في الاشتغال الأكبر رأى جريء يردون في ضوئه أكثر صور الإبدال إلى ضرب التطور الصوتي الذي يدخل أحياناً في اختلاف اللهجات. قال الدكتور إبراهيم أنيس: "حيث تستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي أي أنَّ الكلمة ذات المعنى الواحد حين نرى لها في المعاجم صورتين أو نقطتين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفاً من حروفها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين العرقين المبدل والمبدل منه" [٥] فقه اللغة: 276. ورأى المحدثين - على جراءته - أسلم اتجاهها، وأصلاح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى اكتثار العرب من الإبدال كأنَّ سنة أو عادة وكان النطقيين المختلفين عندهم متساوين بوضع إدراهمًا مكان الآخر وكأنَّهم يعدون هذا الإبدال اعجاباً به وتفنناً فيه. لا يوجد خلاف بين المحدثين في أنَّ الاشتغال وسيلة مهمة جداً من وسائل نمو اللغة العربية وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتقددة، الخ وعرفه بأنه "ارتباط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية بمعنى عام وضع له، في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه وهو ع ل م) وقال (وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية)) [٦] فقه اللغة: 276. كان الاهتمام على أساليب الاشتغال في العربية يكون أهم عنصر في ترجمة المصطلحات العلمية. أما اليوم نجد نهضة لغوية مستمرة ومتصاعدة تجلَّت في نشاطات المجمع اللغوي العربي، كمجمع اللغة العربية في القاهرة، وَدَّدت اللجنة المواد الاتية قواعد ودساتير تتبعها فيما تصفه وتقره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية. 1- إن الاشتغال قياس في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني التي هي عرضة لطروء التغير على معانيها ومفيدة بحسيس الحاجة في الجوامد. 2- إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتغال وإما على طريقة التعريب ولا مانع من الجمع بينهما ويرجع إلى النحت عند الحاجة. 3- لا يذهب إلى الاشتغال في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما تؤدي معناها بخلاف التعريب فإنه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشأن في أكثر المعربات الموجودة في اللغة.